

# صوت الصمت

كيف تجد الإلهام في عصر المعلومات

بقلم مايكل سميث

# صوت الصمت

كيف تجد الإلهام في عصر المعلومات

كتب كو  
نشرتها مطبعة كو بوكس لأول مرة عام 2004، وللمرة الثانية في عام 2005  
Rue de Panorama, Case Postale, 1824 Caux Switzerland  
حقوق الطبع والنشر محفوظة لمايكل سميث 2004، تصميم: هايدين راسل  
صورة الغلاف: كلو سميث، رسوم: إينار إنغيريتسن  
طباعة: إمبرس برنت سيرفس  
Impress Print Service, London, SW18, UK



بإحدى الديانات فهذه الكلمة لها علاقة بالروح، وكما يعرفها أحد القواميس فهي تتعلق  
"بالشخصية والذكاء والإرادة والمشاعر الإنسانية".

ويبدو أن عقولنا تعمل مصممة لتخزين الخبرات الروحية كما أشار أحد تقارير كلية دارتموث  
للطب Dartmouth Medical School في نيو هامبشاير، بعنوان "إن العقل البشري مُصمَّم بيولوجيا لإحداث الاتصالات والتفاعل المستمر مع الناس الآخرين  
وهو مخزن للأخلاق والمعاني الروحية".

"فهناك أماكن من الخلايا الأمامية للمخ والتي تقوم بإنتاج المشاعر الفائقة، وهو ما يحققه  
بعض الناس عن طريق العقاقير، والبعض الآخر عن طريق الموسيقى، والسبيل الأكثر أمانا  
وشيوعا من العقاقير هو الصلاة والصمت والتأمل. ويعتقد الكثيرون أن هذه الطرق تمكننا من  
التواصل بديها مع مصادر المعلومات أو "الإرشاد" الذي يتجاوز الفكر أو العقل البشري  
المجرد.

في شهر مايو من عام 1956 تحدث فرانك بوكمان Frank Buchman، وهو الأميركي الذي  
أسس حركة التسليح الخلقي والمعروفة الآن باسم مبادرات التغيير، تحدث عن "إلكترونيات  
الروح" التي "تجوب العالم في لحظات"، فقد ترد فكرة لأحد ما "في أي وقت من الليل أو  
النهار" وتكون من عند خالق العقل.

وفي عام 1980 قام تيم بيرنيرلي Tim Berners-Lee بتطوير برنامج الكمبيوتر الذي مكنا من  
الوصول إلى الانترنت أو الشبكة المعلوماتية العالمية وأسماه "Enquire" (أي استفسر) وقد  
جاء بالاسم على غرار موسوعة من عصر الملكة فكتوريا يتذكرها من أيام طفولته بعنوان "  
Enquire within upon anything" أي استفسر في أي شيء وعن أي شيء، ولقد ذكرت مجلة  
التايمز في عام 1999 أن اختراعه قد ضمن أن "كلنا سنستطيع الاستفسار عن أي شيء  
بسهولة في القرن القادم".

ويشجعنا مصدر المعلومات الروحية أيضا على الاستفسار عن أي شيء، فهو يعمل عمل  
التكنولوجيا اللاسلكية، وهو مثل الشبكة المعلوماتية العالمية ولكنه مصدر للقيم الأخلاقية  
والروحانية التي توصلنا ببعض وتمكننا أيضا من تحميل هذه القيم من أي مكان نتواجد فيه على  
هذا الكوكب. إنها عالمية حقا، ولكنها تتواجد في داخلنا أيضا، في الصمت الذي يوجد في قلب  
الإنسان.

إن مثل هذه المعلومات الروحية تمدنا بحس من الهدوء واليقين، والشجاعة والإلهام، ووجهة  
نظر وهدفا في هذه الحياة، إنها أكثر من مجرد وعي رغم أنها تُيقظ الضمير السادر في سباته،  
وربما تدفعنا للاعتذار عن أخطاء الماضي، والتعويض عن الخداع الغابر والتخلي عن مشاعر  
الاستياء والكراهية.

بيلا هاتفاني Béla Hátvany، رجال أعمال الانترنت، يشبه المعلومات الروحية بالجهاز العصبي  
المركزي الذي يُمكن الجسد البشري من العمل. فتجربة إيجاد المعلومات الروحية هذه  
شائعة بين الناس الذين يدينون بديانة سماوية كما أنها موجودة لدى غير المؤمنين.

ولا توجد تفرقة تكنولوجية في المجال الروحاني بين الذين يتصلون بالشبكة المعلوماتية  
الروحانية أو الذين لا يتصلون، فالمعلومات الروحانية موجودة ومتوفرة للجميع دون استثناء  
وفي أي مكان بغض النظر عن الغنى أو الأصل، أو العقيدة أو المكانة.

لقد كان حلم تيم بيرنيرلي Tim Berners-Lee بخصوص الشبكة العنكبوتية العالمية (الانترنت)  
كما وصفه في كتابه "نسيج الشبكة" بأن تكون أكثر من وسيلة قوية للتعاون بين الناس، ويقول  
"إنني دائما أتخيل الفضاء المعلوماتي أنه المكان الذي تتسنى للجميع فرصة التجول والتصفح



والتأمل، بينما يدعو البعض إلى أن يخلو المرء بنفسه في تلك الأوقات. لقد وجد الكثيرون فترة الصباح الباكر لما تتميز به من تمهل، ملائمة جدا للصمت بهدوء قبل القيام بأي شيء آخر، فالموسيقيون يفحصون أدواتهم قبل الحفل الموسيقي وليس بعده، ونحن كذلك يمكن أن نصبط قلوبنا وعقولنا قبل أن تدهمنا زحمة الحياة في يومنا هذا، وهذا ما دأبت على فعله على مدار الأربعين عاما الماضية.

فالصمت في فترة الصباح المبكر والتي يسميها البعض "مجال للنعم" تساعدنا كثيرا في ترتيب أمورنا الحياتية، وتحديد أولوياتنا، ومتطلباتنا، وغاياتنا، وأيضا لزيادة إنتاجيتنا، فهذه الفترة تجعلنا نتحكم في اليوم قبل أن يطغى اليوم علينا.

كما أن وقت الصمت يعطينا الفرصة للتعلم في أنفسنا، ويلهمنا بأشياء تتعلق بنا أو بالآخرين حولنا، وبالظروف التي نمر بها وبالعالم الذي ننتمي إليه. إنه وقت يمكننا فيه التخلص من التفكير في الكثير من الأشياء التي يجب فعلها أو التركيز على القرارات الصعبة التي علينا اتخاذها، كما أن قراءة كتاب روحي من تراثنا الإيماني قد يكون مفيد جدا في هذه الفترة.

بالنسبة للبعض وخاصة الذين يعانون كثيرا من تجارب الحياة تبدو فكرة الصمت غريبة وغير مقبولة كليا، فبالنسبة لهم يكون سهلا عليهم التعامل مع الامهم من خلال الاستماع إلى الموسيقى الصاخبة أو شغل أنفسهم طوال الوقت بالأنشطة المختلفة، ولكن بالنسبة للجميع فإن وقت الصمت الذي يعطينا الفرصة للنظر في ذاتنا وداخلنا ربما يكون الدرب الذي يقودنا إلى التعافي من الأمانا وإلى التسامح والأمل والطمأنينة.

ليس هناك شيئا آليا لأوقات الصمت، إلا أنه قد يتطلب وقتا كافيا، نصف ساعة على الأقل، وذلك حتى يمكن للأفكار غير المتوقعة أن تنساب إلى العقل والقلب.

هناك أيضا ميزة عظيمة أخرى للإصغاء بصمت، فهو يزيد من ذكاء مشاعرنا وأحاسيسنا، كما أنه يعطينا الفرصة لوضع أنفسنا في محل الآخرين، ويجعلنا نستمع لما يقولونه من كلمات بل إلى حقيقة معانيها والاستماع إلى لغة أجسادهم، وأمالهم، ومخاوفهم، والامهم، وخيبة أملهم، وما يتوقون إليه، وإلى نظرات عيونهم، وبهذا نستطيع أن نفهم حقيقة احتياجاتهم وأن نوليهم اهتمامنا.

الشرط الآخر لتلقي المعلومات الروحانية هو أننا، مثل الكمبيوتر، بحاجة إلى أن نجري فحصا للفيروسات داخلنا، لتأكد من أن المعلومات التي نحصل عليها من هذا الصوت الهامس في داخلنا لن تفسدها دوافعنا المشبوهة أو خداعنا لأنفسنا. إن القيم الأخلاقية كالأمانة، والظهارة، والإيثارة، والمحبة للناس تساعدنا في إجراء هذا الفحص، فهي كبرنامج الحماية من الفيروسات في الكمبيوتر تسمح فقط بدخول الرسائل موثوقة المصدر.

إلا أن مثل هذه القيم لن تحمينا كليا من إغراءات الكراهية والجشع والرذيلة مثلاً، إلا أنها يمكن أن تمنعنا من الانزلاق والاستسلام، فهي تحررنا من درك الانحراف للطبيعة البشرية الفاسدة وتمنعنا من ارتكاب الأخطاء، وتحتنا على فعل الصواب، ومن باب المفارقة، فإن الانضباط الذاتي هو الطريق إلى الحرية الذاتية.

هذه القيم لها أهمية عظيمة أيضا فنحن جميعنا في قارب واحد نسير في نفس التيار، ونخطئ كالبحر، والكثير يُشبهون المعايير الأخلاقية بنجم الشمال، فهو نقطة ثابتة في الكون وكان يهتدي به البحارة على مر القرون ليوجهوا سفنهم. فالمطلق يظل غير محسوس، ولكن محاولة الوصول إليه تكون بمثابة البحث عن المنارة التي تدير لنا الطريق.

إن الذين يتبعون السيد المسيح كأمثالي يؤمنون بأنه قد عاش حياة مثالية، وكل أتباع الديانات يقدون بأنبيائهم، وقد تحدث المهاتما غاندي عن "الصوت الداخلي" والحاجة لأن "تجعل الله غايتك"، وأن تكون "أنت التغيير الذي تريد أن تراه" في العالم. ويدعوا البوذيون إلى التأمل

والانعزال، بينما تعني كلمة الإسلام للمسلمين الخضوع لإرادة الله والسلام الداخلي في النفس وبين الخلق، وأما اليهود والمسيحيون فيجدون الله في "الصوت الصغير الساكن" في داخل النفس.

إن محاولة الوصول للكمال ليس تكبرا وغطرسة، وإنما هو تواضع في مواجهة الزمن والفضاء السرمدى، فنحن بحاجة إلى نعمة العفو والاعتراف بأننا كبشر ضعفاء ونخطئ بشكل أو بآخر. إلا أننا يجب أن نعترف أيضا بأن الآخرين سيعاملوننا مثلما نعاملهم، فإذا زرعت الكراهية فانك بكل سهولة ستحصد الكراهية، وإذا أحببت فانك ستجد من يحبك. لذلك فإن عملية فحص الفيروسات التي نجريها صباحا تجردنا من الدوافع الأنانية وتدفعنا باتجاه التفكير والاهتمام بالآخرين.

النقطة الثالثة هي أنك عندما تقوم بعملية تنزيل المعلومات الروحية، عليك أن تقوم بطباعتها على ورق ولا تحتفظ بها مهملة في ذهنك، فإن تدوين الأفكار التي ترد إليك يعمل كالمفكرة كي لا تتجاهل تلك الأفكار بسهولة.

لقد كتب بير الفن جراتري (1872-1805) Péré Alphonse Gratry في العام 1805 "لو سألتموني كيف تستمع إلى الله لكنت إجابتي: أكتب كما في المثل الصيني "الحبر الباهت أقوي من أعظم ذاكرة".

و أخيرا يمكننا أن نشارك الأفكار التي نتلقاها مع الأهل أو الأصدقاء أو الزملاء الموثوق بهم أو المرشدين الروحانيين قبل أن نتبعهم، وحتى أولئك الذين قد يختلفون معنا في الرأي. إن تحلينا بالشفافية يخلق أساسا للثقة، أو ربما تجد بعض الأفكار إمكانية للتطوير من قبل الآخرين، كما أنه من الممكن أن تكون فكرة واحدة من فرد هي مصدر إلهام للمجموعة، كما أن العمل على تنفيذ هذه الأفكار الملهمة هو بمثابة العبادة.

فالأمر يتعدى أن يخص فرد بعينه وكأنها مسألة شخصية بدون عواقب على الآخرين أو على العالم بأسره.

ويذكر الصحافي توماس فريدمان Thomas Friedman الذي يعمل في جريدة التايمز الأمريكية، في كتابه "ذي لكساس أند ذي أولف تري"، أن من أحد خصائص العولمة هو "الأفراد المفوضون كليا" الذين يمكنهم أن يحثوا الآخرين على خدمة قضية ما من خلال تكنولوجيا المعلومات، ولقد ذكر فريدمان المرأة التي حصلت على جائزة نوبل للسلام لحملتها ضد الألغام الأرضية والتي شنتها من خلال رسائل البريد الإلكتروني، وحملة اليوبيل عام 2000 التي هدفت إلى رفع الديون العالمية عن الدول الفقيرة كمثال آخر، وقد ارتكزت الحملة على تعبئة الرأي العام، وعدد من أعضاء حركة ATTC (جمعية فرض الضرائب على التداولات المالية لمساعدة المواطنين) الذين دعوا إلى وجود عولمة عادلة أكثر، وكان هدفهم هو "تغيير العالم".

ويقول فريدمان أن هناك ستة أبعاد للعولمة وهي الأبعاد المالية والاقتصادية والسياسية والثقافية والأمنية/الدفاعية والتكنولوجية والبيئية. وبإمكاننا إضافة البعد الديني والبعد الروحاني، خاصة أننا نعيش في عالم يكتظ فيه الناس من مختلف الديانات في المدن الكبيرة. ويركز فريدمان على أن العالم بحاجة إلى الداعين إلى العولمة، وهم الناس الذين ينظرون نظرة شاملة إلى العالم وليس لجزء واحد منه.

ولقد عبر فرانك بوكمان أيضا عن رسالته بمصطلحات عالمية مشيرا إلى "إعادة صياغة العالم"، فمن جهة واحدة، وفي نفس اللحظة التي يقرر فيها أي شخص العمل بطريقة مختلفة يصبح العالم مختلفا بل يصبح عالما جديدا. وقد شجع بوكمان الناس على "التفكير في القارات" لأن ندع آمم ومجد العالم يمران عبر مرشحات عقولنا وقلوبنا. لقد رأى بوكمان الاحتياج إلى "الأفراد المفوضين كليا" وفي سياقها الروحي، فعندما يتعاون هؤلاء الأفراد مع

بعضهم البعض، فهم يساهمون في نشر التكامل والعدالة والمداواة والمصالحة والحكم الجيد في التجارة وحياة العامة. فنحن قادرون على إحداث التغيير الإيجابي والعمل بطريقة مختلفة حيثما تواجدنا سواء في بيوتنا أو مجتمعاتنا أو في أماكن عملنا.

وبالنسبة لكثير من الناس حول العالم أصبح وقت الصمت اليومي هو المرسى ونقطة الانطلاق نحو التحرك على مر السنين، فهو أداة لا غنى عنها على مدى الحياة. فإذا ما نظرنا إلى الصمت بجدية، فإن له تأثيراً على كل مناحي حياتنا، فهو يؤثر على علاقاتك الأسرية، وعملك، وإنفاقك للنقود، وصدقاتك، وربما على اختيار شريك أو شريكة الحياة، فحقا الصمت يخلق عالماً من الاختلافات.



**مبادرات التغيير** (Initiatives of Change 'IofC) هي شبكة عالمية غير رسمية من أناس من جميع المعتقدات والخلفيات يعملون لتغيير العالم بالسعي أولا وراء إحراز التغيير في حياتهم، وغالبا ما تُحدد هذه اللحظات من التحول الشخصي اتجاه جديدا في حياة الفرد. وأفضت بعض هذه الاتجاهات الجديدة إلى مبادرات التغيير المتنوعة التي تشرع فيها هذه الشبكة العالمية، ومنها برنامج المصالحة، ومبادرات كو Caux للأعمال، وحملة من أفريقيا نظيفة، وصناع السلام، وحوار المزارعين، وأسس الحرية، والأمل في المدن، وبرنامج القيادة الشبابية (أكشن فور لايف) (ف)

Action for Life وهو برنامج تدريب دولي. ونمت كل هذه المبادرات من خلال شبكات من الأفراد المتمكنين، وتعمل مبادرات التغيير (IofC) على المبدأ التالي وهو أن التغيير في دوافع ومواقف وتصرفات الناس ليس ممكنا فقط، ولكنه الأساس الوحيد والأكيد الذي يمكننا أن نبني عليه تغييرا دائما وأبديا. هذه تجربة الملايين من الناس، سواء الذين انخرطوا في مبادرات التغيير (IofC) أم ممن لم ينخرطوا فيها، الذين قرروا الشروع في "عملية التغيير" في حياتهم الخاصة.

[www.initiativesofchange.org](http://www.initiativesofchange.org)

References:

*Hardwired to Connect*, YMCA, Dartmouth Medical School and Institute of American Values, 2003.

*Weaving the Web*, Tim Berners-Lee, 1999.

*The power of silence*, Rosa Bellino, *For A Change* magazine, Aug/Sept 2002

*Anam Cara-spiritual wisdom from the Celtic World*, John O'Donahue, 1998

*The Lexus and the Olive Tree*, Thomas Friedman, 1999

*Frank Buckman: a life*, Garth Lean, 1995

*Hope for Today*, Peter Marsh and Hugh Elliot, 1995

تجربه **مايكل سميث** في الإنصات "لصوت الصمت" أدت به إلى العمل الصحفي والنشر مع البرنامج الدولي لمبادرات التغيير، وقد حصل على درجة جامعية في علم الطباعة وتصميم الطباعة من كلية لندن للطباعة عام 1970، وعمل لمدة 3 سنوات في الهند، من 1971 وحتى 1974، في مجال إنتاج المجلة الإخبارية الأسبوعية لراجمهان غاندي، هيمات، وزار الهند تسع مرات، وكان يكتب قصص التنمية الصناعية. وفي عام 1987 أصبح أحد المحررين المؤسسين لمجلة فور أتش-ينج ماغـازين *For A Change Magazine*، التي يصدرها مكتب مبادرات التغيير في لندن، وعمل كمحرر للمجلة حتى عام 2005. كتب مايكل سميث "بيوند ذي بوتوم لاين" *Beyond the Bottom Line* (ما وراء النتائج)، ونشرتها انداستريال بيونير *Industrial Pioneer*، ويقطن هو وزوجته، جان، في منطقة ويمبلدون، لندن، ولديهم طفلين.